

دواء وعلاج لأمراض القلوب والأبدان

الشيخ/ عبد الكريم الخضير

((وقد تركتُ فيكم ما لم تَضَلُّوا بعدهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ)) ترك النبي -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- كتاب الله، وهو مَضُون، محفوظ من التَّحْرِيفِ والتَّغْيِيرِ والزِّيَادَةِ والنُّقْصَانِ **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [الحجر:9]، فهو كما تركه إلى أَنْ يُرْفَعَ في آخر الزَّمَانِ، والاعتصامُ بِهِ هو المخرج من الفِتْنِ، وهو حلٌّ للمشكلات والمُعْضَلَاتِ، وهو دواءٌ وعلاجٌ لأمراض القلوب والأبدان، فمن تَمَسَّكَ بكتاب الله واعتصم بِهِ لَنْ يَضِلَّ في الدُّنْيَا وَلَا في الآخِرَةِ، وَلَا يَشْقَى في الآخِرَةِ، والكلام عن القرآن والعناية بِهِ أمرٌ جَاءت بِهِ النُّصُوصُ، فجاء الحثُّ على قراءة القرآن، وعلى فَهْم القرآن، وعلى إقراء القرآن، وعلى تدبُّر القرآن. قراءة القرآن بالنِّسْبَةِ للمُسلِم أمرٌ مطلوبٌ جاء التَّرغِيبُ فِيهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وعلى طالب العلم على وجه الخُصُوصِ مَنْ يُعْنَى بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ آكِدٌ، وَمَنْ الْمُؤَسَّفُ أَنْ بَعْضٌ مِنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْعِلْمِ مُهْمَلٌ لِلْقُرْآنِ، يَهْمُهُ مَا يَشْتَمَلُ بِزَعْمِهِ عَلَى الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ، تَجِدُهُ مِنْ حَلْقَةٍ إِلَى حَلْقَةٍ يَتَّبَعُ دُرُوسَ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَهُوَ هَاجِرٌ لِكِتَابِ اللَّهِ! وَالْعِلْمُ وَالنُّورُ كُلُّهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَزِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ إِنَّمَا تَنْشَأُ عَنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ.

والعلم تحت تدبُّر القرآن

فتدبُّر القرآن إن رُمِت الهدى

{أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: 24]، والأمر بالتدبُّر في أربع آيات، وجاء الأمر بالتدبُّر، وعلى كِلِّ حَالٍ وَضَعُ طُلَّابِ الْعِلْمِ بِالنِّسْبَةِ لِلْقُرْآنِ غَيْرَ مَرَضِيٍّ، كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا أَقُولُ كُلُّهُمْ، يُوجَدُ - وَاللَّهُ الْحَمْدُ - مِنْ لَهُ وَرَدٌ يَوْمِيٍّ مِنَ الْقُرْآنِ لَا يُخَلُّ بِهِ سَفَرًا وَلَا حَضْرًا هَذَا مَوْجُودٌ؛ لَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نُعْنَى بِالْقُرْآنِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- يَقُولُ: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ -يَعْنِي بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّفْهِيمِ وَالتَّعْنِي وَتَحْسِينِ الصَّوْتِ-، يُورِثُ الْقَلْبَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالطَّمَأْنِينَةِ مَا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا مَنْ فَعَلَهُ"، هَذَا شَيْءٌ ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ هُوَ وَابْنُ الْقَيِّمِ وَكُتِبَتْهُمْ مَمْلُوءَةٌ مِنْ هَذَا، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يُعْنَى بِأَدْوِيَةِ الْقُلُوبِ، وَلِذَا تَجِدُ مَنْ يَتَّبَعُ الْأَحْكَامَ فِي الظَّاهِرِ وَيَعْفَلُ عَنِ هَذَا الْجَانِبِ الْمُهْمِ، وَالْعِلَاجُ النَّاجِعُ لِأَدْوِيَةِ الْقُلُوبِ تَجِدُهُ فِي غَفْلَةٍ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَشْكُو قَسْوَةَ الْقَلْبِ، عَامَّةُ النَّاسِ يَشْكُو الْغَفْلَةَ وَعَدَمَ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، سَبَبُ هَذَا وَمَرْدُهُ هَجْرُ الْقُرْآنِ، هَجْرًا حَقِيقِيًّا أَوْ حُكْمِيًّا؟ عَلَى كِلِّ حَالٍ الْقُرْآنَ وَالْعِنَايَةَ بِهِ أَمْرٌ مُسْتَعْيِضٌ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَقَاضُوا فِي هَذَا وَبَيَّنُّوا وَلَمْ يَبِيقُوا إِلَّا الْعَمَلَ.